الفلسفة السّياسية في تصوّر الفارابي

أ. بليلى شفيعة

المدرسة العليا للآداب

والعلوم الإنسانية -بوزريعة-الجزائر

امتاز الفارابي[1] بكونه فيلسوفا وشاعرا ومتصوّفا وبكونه أيضا عالم اجتماع وسياسة، وهذه الصّفة الأخيرة له تستدعي من النّاحية العلمية، الملاحظة وطول التجربة.وتستدعي من الرجل السّياسي أن يتأمّل ويمعن النّظر في ما شهده وما سمعه وتناهى إليه من أحوال الناس وأعمالهم.

---

[1] هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، فيلسوف مسلم، ولد سنة259هـ ببلاد فاراب على الحدود التركية، اشتهر بتوفيقه بين الفلسفة والدين، وبتوفيقه بين أفلاطون وأرسطو. من بين كتبه:" آراء أهل المدينة الفاضلة"،" تحصيل السعادة"،" الجمع بين رأي الحكيمين." توفي سنة 339 هـ.

وبالفعل لقد اعتمد الفارابي على هذه الأمور كلّها في وضع نظريته السّياسيّة، على الرّغم من أنه كان منعزلا عن العمل السّياسي، عاكفا على التأمّل مشغولا بالفلسفة لأنّها الوسيلة لتحقيق السّياسة الرّشيدة، الّتي هي العلم الّذي يميز بين الغاية الحقيقيّة وغير الحقيقيّة للأفعال، ويفحص ويصنّف الأفعال التي بها يتمّ تحقيق الغاية الحقيقيّة، ويفحص أيضا عن الأخلاق والملكات التي بها تتمّ هذه الأفعال. فتكون الغاية الحقيقيّة هي السّعادة، وتكون الأفعال التي بها يتمّ تحقيق السّعادة هي الفضائل والخيرات.

وينبغي أن تكون هذه الأفعال موجودة عند جميع أهل المدن بشكل معين وبترتيب معين يقّدرهما رئيس هذه المدن لأنّه هو الّذي يعمل على تحقيقها وعلى حفظها من الزوال.

هذا ولقد لاحظ الفارابي وأدرك أن ما يميز أمة عن أمة أخرى يتمثل في شيئين طبيعيين:

الأوّل: هو اللّسان، أي اللغة.

والثّاني: هو الخلق والشيم، وهما عاملان تدخل في تكوينهما ظروف عدّة. مثل طبيعة المواقع الجغرافية ونوعية المساكن.

شرط تحقق المدينة الفاضلة

ومهما كانت الأمّة مختلفة عن غيرها فإنّها لا توجد كوحدة تحقق ذاتها في هذا الوجود إلا إذا كان فيها رئيس يوحّد نهجها ويجمع كلمتها ويحدّدّ أعمالها ومراتبها، فهو علّة وجودها وصلاحها وفضيلتها. ولذلك فإن فساده سيؤدّي حتما إلى فسادها وابتعادها عن النّهج الصّحيح، وهذا ما وقع فعلا في زمان الفارابي إذ أن انحراف الرعية كان سببه الأمراء والخلفاء الذين لم يرعوا أمانة الله، ولم يتحلّوا بالفضائل التي دعا إليها وتحلّى بها سيدّنا محمّد صلّى الله عليه وسلم والصّحابة والخلفاء الرّاشدون يقول الفارابي:" إن صلاح الرّئيس عام لأهل

مملكته، فإذا هفا هفوة تعدّى فساده إلى كثير غيره، فيجب أن تكون الفضائل فيه طباعا وملكات ويكفيه ثواب ما يثبت في من يقومهم"[1]

مهام رئيس المدينة الفاضلة

فالرّئاسة إذن أمر ضروري، لأن الأمّة تحتاج إلى من يقودها، بل تحتاج إلى معلّم ومرشد، والرّئيس هو المعلّم. يقول الفارابي:" إنّ الملك هو مؤدّب الأمم ومعلمّها، كما أن ربّ المنزل هو مؤدّب أهل المنزل ومعلّمهم "[2].

وإذ يكون التعليم فبسبب اختلاف الفطر في النّاس، فليسوا في مقدورهم جميعا أن يعلموا من تلقاء أنفسهم ما هي السّعادة، وما هي الأعمال التي تحقّق السّعادة. فالسّعادة هي الفضيلة الّتي ينبغي أن يعرفها النّاس وأن يبذلوا كلّ جهودهم لتحقيقها ولا يتسنّى لهم ذلك إلا بتعليم. فالرّئيس يعلّم الأمّة مثالات الأشياء الموجودة في الفلسفة ويوّحد صفّها بتوحيد أرائها واعتقاداتها إزاء ملّة واحدة. وليست هذه المهام هي الوحيدة للرّئيس، بل عليه أن يرتّب النّاس في طوائف، إمّا في مرتبة خدمة أو في مرتبة رياسة، وذلك حسب استئهالهم. وعليه أيضا أن يرسم في نفوس أهل المدينة مع اختلاف مراتبهم هيئات وملكات إرادية تحملهم على الارتباط بالتّعاضد في الأفعال حتّى تصير المدينة أو الأمّة على الرغم من كثرة أقسامها واختلاف الطّوائف الّتي فيها أفعالها كشيء واحد يفعل فعلا واحدا ينال به غرضا واحدا. وهذه المهام الّتي يقوم بها الرّئيس في مدينته لينشد النّظام الّذي غايته التّعاون لتحقيق السّعادة القصوى، إنّما يوحي بما تأمله للعالم، الّذي يكتشف من خلاله أن مدبّر هذا الأخير وهو الله سبحانه وتعالى قد

---

[1] أنظر الفارابي، فصول منتزعة، تحقيق وتعليق: فوزي مترى النجار، بيروت لبنان 1971.ص 40.

[2] الفارابي: تحصيل السعادة، تحقيق وتقديم وتعليق جعفر ال ياسين دار الأندلس بيروت، الطبعة 2. 1983. ص 80.

خلق الموجودات ورتّبها ترتيبا متسلسلا ومنتظما ابتدأ من الموجودات الشّريفة إلى المّادة الأولى، وأنه دبّر أمورها من الغرائز والفطر والهيئات الطّبيعيّة التي جعلها وركّزها فيها حتى تمّت الخيرات الطّبيعيّة في كلّ واحد من أصناف العوامل بحسب رتبته وفي جملة الموجودات[1] ولمّا كان الإنسان خليفة الله في الأرض كان على الرّئيس إذن أ، يتأسّى بالله ويقتفي أثار صنعه ويحتذّي حذو نظامه البديع. فإذا قام الرّئيس بذلك، كان شبيها بالسّبب الأّول، به وجود سائر الموجودات، وكانت مدينته شبيهة في نظامها وترتيبها بالموجودات الطّبيعيّة، وشبيهة في ارتباطها وأفعالها وتعاونها ببدن الإنسان الّذي تعمل جميع أعضائه في تعاون لتحقيق غاية بيولوجية معيّنة، وبذلك يتم الانسجام بين نظام المدينة ونظام الكون وترتبط السّياسة بالفلسفة الكونية، والعالم والمدينة الفاضلة لبنات مختلفة لمبنى واحد، تجمع بينهما الفلسفة، بل يرتبط التّفلسف الحقيقي بإصلاح النّظام السّياسي، ويمكن أن نقول أن هذه المدينة الفاضلة التي ينبغي تحقيقها في عالم الأرض " موجودة في دماغ رئيسها قبل أن توجد كواقع اجتماعي. انّها برنامج وتخطيط وليست نظما اجتماعية[2] فهي مدينة أو مجتمع يأتلّف أعضاؤه على المحبّة، يقول الله تعالي: " لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم"[3]. وهذا الائتلاف والمحبّة إنّما يكونان لأسباب عديدة:

---

[1] الفارابي، كتاب الملّة ونصوص أخرى، تحقيق وتقديم وتعليق: محسن مهدي. دار المشرق. المطبعة الكاتوليكية. بيروت. لبنان ص 66.

[2] عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي. دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت. الط 3. 1986. ص 87.

[3] سورة الأنفال: آية64

منها اشتراك النّاس في الفضيلة وبالتّالي في الآراء والأفعال. والآراء التي ينبغي أن يشتركوا فيها ويؤمنوا بها إيمانا واحدا ثلاثة أشياء:

أنّه ينبغي لهم أوّلا أن يتّفقوا في المبدأ. واتفاقهم فيه، هو اتفاق آرائهم في الله تعالى وفي الرّوحانيين وفي الأبرار الّذين هم القدوة، وكيف ابتدأ العالم وأجزاؤه وكيف ابتدأ كون الإنسان، ثم مراتب أجزاء العالم ونسبة بعضها إلى بعض ومنزلتها من الله تعالى والرّوحانيين، ثم منزلة الإنسان من الله ومن الرّوحانيين. وينبغي لهم، ثانيا، أن يتّفقوا في المنتهى وهو السّعادة وينبغي لهم، ثالثا، أن يتّفقوا فيما بين المبدأ والمنتهى وهو الأفعال الّتي بها تنال السعادة فإذا اتّفقت أراء المدينة في هذه الأشياء، ثم كمل ذلك بالأفعال الّتي ينال بها السّعادة بعضهم مع بعض، تبع ذلك محبّة بعضهم لبعض ضرورة[1].

يقول تعالى:" إنما المؤمنون إخوة "[2].

هذا ومن أسباب الائتلاف أيضا اللّذة في تبادل ما هو نافع، إذ يشعر أفراد المجتمع نتيجة لهذه العلاقات الطيّبة بالرّاحة النّفسية وبالطمأنينة. إن هذه العلاقات الاجتماعية تجعل كلّ، عمل في المدينة متوقّفا على الأعمال الأخرى الّتي يقوم بها ناس آخرون وهذا ما جعل الوظائف الاجتماعية مرتبطة فيما بينها، وأصحابها مشدودين بعضهم ببعض فتؤلّف قلوبهم على الحبّ والتّعاون.

والّذي يظهر لنا من خلال هذه الرّوابط الاجتماعية الّتي يتحدّث عنها الفارابي أن مدينته ليست مثالية إلى درجة يراها " جميل صليبا " بعيدة عن الحياة والتجربة ... بعد السّماء عن الأرض. وأن وصفه لها لا يشتمل إلاّ على أحكام

---

[1] راجع الفارابي، فصول منتزعة ص 71

[2] سورة الحجرات. آية 10

كلّية مقتبسة في جملتها من كتب أفلاطون،[1] بل أن الفارابي كان بعيدا عن أفلاطون على الرّغم من عدم جهله له، ولكنّه لا يجهل أيضا الإسلام دينه. ولهذا فإنّنا نعتقد أن أساس تصوّره للمجتمع هو بالدّرجة الأولى ذلك المصدر الّذي لا ينفّذ، وهو الإسلام القائم على السلام والمحبّة والتّعاون بين النّاس. وما المجتمع الّذي يصوّره الفارابي إلا المجتمع الّذي عاش المسلمون فيه حين كان حاكمهم يحكم بالعدل والقسط، أو حين كان صلاح المدينة أو فسادها مرهونا بطبيعة الحاكم وبمقدار تطبيقه للعدل كما تصوّره الشريعة.

فالعدل هو الشّرط الضّروري لإقامة المدينة الفاضلة، إنّه يحفظ المحبّة والنّظام. ويكون العدل في قسمة الخيرات المشتركة الّتي لأهل المدينة مثل السّلامة والأموال والكرامة والمراتب، وهي قسمة توفّر لكلّ واحد منهم قسطا من هذه الخيرات يساوي استئهاله ويكون في حفظ ما قسّم عليهم، إما بأن لا يخرج عن أيديهم، وإما بأن يخرج بشرائط وأحوال لا يتبعها ضرر بهم ولا بالمدينة، ويكون أيضا في نيل الفاعل للشّر بقسط من الشّر[2]. وفي هذا مساواة بين النّاس في المدينة، لأن تقسيم الخيرات فيها يكون حسب المنصب والمجهود الّذي له كل شخص في المجتمع، كما أن استعمال الإنسان لأمواله وخيراته مشروط بصلاحية هذا الاستعمال.

هذا ويرى الفارابي أن المدينة ينبغي أن يفوض إلى كل واحد ممن فيها صناعة واحدة يفرد بها وعمل واحد يقوم به إمّا في مرتبة خدمة وإمّا في مرتبة رئاسة لا يتعدّاها، ولا يترك أحد منهم يزاول أعمالا كثيرة ولا أكثر من صناعة واحدة. لأنه ليس يتفق أبدا أن يكون كلّ إنسان يصلح لكل عمل.

---

[1] جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط2. 1973.ص179

[2] راجع الفارابي، فصول منتزعة. ص 71 ـ 73.

ولأنّ العمل يكون أحكم وأحذق إذا كان نوعا واحدا.

ولأنّ كثيرا من الأعمال لها أوقات متى أخرت عنها فاتت[1].

وهكذا يكون العمل حقا لكلّ مواطن في المدينة.

وتكون البطالة معدومة فيها.

ويكون تقسيم العمل واتقانه والحفاظ على الوقت من مميزاتها.

فتتحقّق العدالة الاجتماعية وتتحق المساواة.

ومن هنا فإنّنا لا نرى أي تأثر للفارابي بنظرية أفلاطون في العبودية. فحديثه عن اختلاف وتفاضل المراتب هو من العدل لأن ذلك يكون بحسب تفاضل الصنائع والعلوم التي أعدّ النّاس بالطّبع نحوها.

خصال رئيس المدينة الفاضلة

ونظرا لهذه المسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتق الرّئيس فإن هذا الأخير لا يكون أي إنسان اتّفق، وإنّما هو المعدّ للرئاسة بالطّبع والفطرة، وبالهيئة والملكة الإرادية. فيكون الرّئيس على الإطلاق " هو الّذي حصلت له العلوم والمعارف بالفعل ولا تكون له به حاجة في شيء إلى إنسان يرشده، وتكون له قدرة على جودة إدراك شيء شيء ممّا ينبغي أن يعمل من الجزئيات، وقوّة على جودة الإرشاد لكلّ من سواه إلى ما يعلمه، وقدرة على تقرير الأعمال وتسديدها نحو السعادة"[2]. فالعلم والمعرفة هما وحدهما القادران على تكوين مدينة فاضلة وهما العمود الفقري لها، وخاصّة المعرفة الفلسفيّة والنظريّة منها لأنّ الرّئيس لا يمكنه أن يقف على شيء ممّا في العالم من تدبير الله تعالى حتى يتأسى به إلاّ

---

[1] نفس المصدر السابق. ص 75

[2] الفارابي، السياسة المدنية، تحقيق وتقديم وتعليق: فوزي متري النجار. المطبعة الكاتوليكية. الطبعة1. 1964. ص 79

من هناك[1]. كما لا يمكن أن يكون خير مرشد لأهل المدينة إلاّ إذا كان يعرف" النّفس بأسرها وأجزائها، وما يعرض لها ولكّل واحد من أجزائها من النقائص والرّذائل...، وما الهيئات النفسانية الّتي يفعل بها الإنسان الخيرات وكم هي، وكيف الوجه في إزالة الرذائل عن أهل المدن والحيلة في تمكينها في نفوس المدنيين ووجه التّدبير في حفظها عنهم حتى لا تزول "[2].

وهكذا يجمع الرئيس بين معرفة الكون وربّ الكون ومعرفة الإنسان في حد ذاته ليتمكن من جودة استخراج النواميس وشروطها الّتي بها تصير موجودة بالفعل وجودا تنال به السّعادة، إذ أن هذه النواميس ينبغي أن تتماشى ونظام الكون كما تتماشى وطبيعة استطاعة البشر في تطبيقها. ولا يحتاج الرّئيس إلى هذه المعرفة فقط في تسيير شؤون المدينة، وإنّما ينبغي أن يمتاز بقوة العقل وطول التّجربة وعمق المشاهدة.

فالرّئيس صاحب خصال ينبغي أن تتوفّر فيه وقد حدّدها الفارابي في اثني عشر خصلة:

الأولى: أن يكون تام الأعضاء قواها مؤاتية أعضاءها على الأعمال الّتي شأنها أن تكون بها ومتى همّ بعضو ما من أعضائه عملا يكون به فأتى عليه بسهولة.

الثانية: أن يكون بالطّبع جيّد الفهم والتصوّر لكلّ ما يقال له، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل، وعلى حسب الأمر في نفسه.

الثالثة: أن يكون جيّد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه، ولا يكاد ينساه.

---

[1] الفارابي، كتاب الملة . ص66

[2] الفارابي، فصول منتزعة. ص 26

الرابعة:أن يكون جيدّ الفطنة، ذكيا، إذ رأى الشّيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدّليل.

الخامسة:أن يكون حسن العبارة، يؤتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة.

السادسة:أن يكون محبا للتّعليم والاستفادة، منقادا له، سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم، ولا يؤذيه الكدّ الّذي ينال منه.

السابعة:أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، متجنبا بالطّبع للعب، مبغضا للّذات الكائنة عن هذه.

الثامنة: أن يكون محبّا للصّدق وأهله، مبغضا للكذب وأهله.

التاسعة: أن يكون كبير النّفس، محبّا للكرامة: تكبر نفسه بالطّبع عن كلّ ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطّبع إلى الأرفع منها.

العاشرة: أن يكون الدّرهم والدّينار وسائر أعراض الدّنيا هيّنة عنده

الحادية عشرة: أن يكون بالطّبع محبّا للعدل وأهله، ومبغضا للجور والظلم وأهلهما.

الثانية عشرة: أن يكون قويّ العزيمة على الشّيء الّذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه، مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس[1].

ولمّا كان اجتماع هذه الخصال كلّها في شخص واحد صعبا، رخصّ الفارابي في أن تتوفّر ستّ منها فقط في الشّخص الواحد وهي:

أن يكون حكيما. وأن يكون عالما حافظا للشّرائع والسّنن والسّير الّتي دبّرها الأولّون للمدينة... وأن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السّلف فيه

---

[1] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق: ألبير نصرى نادر.دار المشرق بيروت. لبنان. الطبعة 4. 1973. ص 127 . 129.

شريعة، ويكون فيما استنبطه من ذلك محتذيا حذو الأئمّة الأولين، وأن يكون له جودة رويه وقوّة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث الّتي تحدث ممّا ليس سبيلها أن يسير فيه الأوّلون، ويكون محتريا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة، وأن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأوّلين وإلى استنباط بعدهم ممّا احتذى فيه حذوهم، وأن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب، وذلك أن يكون معه الصّناعة الحربية الخادمة والرّئيسية [1].

هذا وإذا صعب أيضا وجود إنسان يمتاز بهذه الخصال كلهّا ووجد اثنان أحدهما حكيم، والثّاني فيه الشّرائط الباقية كان هما الرّئيسين معا في هذه المدينة. ويجوز أن يحكم المدينة الفاضلة ستّة رؤساء أفاضل إذا توفّرت في كلّ واحد منهم خصلة واحدة، على أن يتلاءموا ويعملوا لصالح المدينة وأهلها. ويرى الفارابي على كلّ حال أن الرّئاسة لا يمكن أن تقوم لها قائمة إذا لم يكن للحكمة مكان فيها ضمن الشروط الأخرى حتى ولو توفرت هذه الأخيرة كلّها. إذ يكون الرّئيس أنذاك والقائم بأمر المدينة ليس برئيس أو بملك، لأنه لا يقوى أبدا على تسيير مدينته فتصير إلى الضّياع والهلاك. يقول الفارابي: " فإن لم يتّفق أن يوجد حكيم تضاف الحكمة إليه، لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك" [2].

" فإذن يلزم فيمن كان واضع نواميس ... أن يكون فيلسوفا " [3].

وهكذا يركّز الفارابي على توفر الحكمة في الرّئيس مهما كان الأمر، كما كان يركّز عليها أفلاطون الّذي يقول:" ما لم يصبح الفلاسفة ملوكا في بلادهم، أو

---

[1] نفس المصدر السابق ص.129 . 130

[2] الفارابي، كتاب الآراء ص 130

[3] الفارابي، تحصيل السعادة. ص 92

يصبح أولئك الذين نسميهم الآن ملوكا وحكاما فلاسفة، جادين متعمقين، وما لم تتجمع السّلطة السّياسيّة والفلسفيّة... ما لم يحدث ذلك كلّه، فلن تهدأ... حدة الشرور الّتي تصيب الّدولة، بل ولا تلك الّتي تصيب الجنس البشري بأكمله[1].

ولهذا فرئيس المدينة الفاضلة يكون فيلسوفا بما يتقبّله عقله المنفعل، وقد يكون نبيا بما يتقبّله بواسطة مخيلته من العقل الفعال، وتكون مهنته الملكية مقرونة بوحي من الله إليه. والرّئيس الّذي يكون فيلسوفا ونبيّا هو رئيس في أكمل المراتب الإنسانية وهو رئيس أول على الإطلاق. وليس معنى هذا أن الرّئيس معصوم من الخطأ وأنه مطلق الكمال في جميع الفضائل، خاصّة إذا لم يكن نبيّا.

هذا والرّئيس الأوّل هو الّذي يقوم بالرّئاسة الأولى الّتي تعد الضرب الأوّل للرّئاسة الفاضلة وهي (أي الرّئاسة الأولى) الّتي تمكّن في المدينة أو الأمّة السير والملكات الفاضلة أولا من غير أن تكون تلك فيهم قبل ذلك، وتنقلهم مع ذلك عن السّير الجاهلية إلى السيَر الفاضلة[2]. ويمكن أن يقوم بهذه المهّمة كلّ من الإمام وواضع النّواميس والملك والفيلسوف وكلّ هذه أسام لمعنى واحد. وأما الرّئيس التّابع له فهو الّذي يقوم بالرّئاسة التي تتبع الأولى والّتي تعد الضرب الثّاني للرّئاسة الفاضلة وهي الّتي تقتفي في أفعالها حذو الرّئاسة الأولى، والقائم بهذه الرّئاسة يسمى رئيس السّنّة وملك سنّة ورئاسته هي الرّئاسة السنّية [3]. ويعني هذا أن الرّئيس الأول إليه تعود مهمّة وضع الشرائع والسّنن، وأن الرّئيس الثّاني إليه تعود مهمّة الحفاظ على هذه الشرائع وحسن تسييرها في

---

[1] أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية للتاليف والنشر، ص192.

[2] الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى. ص56.

[3] الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى. ص 56

المدينة للحفاظ على النّظام والائتلاف في المدينة حتى تبلغ هدفها المنشود وهو تحقيق السّعادة، ولهذا لا يحتاج هذا الأخير إلى الفلسفَة بالقدر الّذي يحتاج إليه الأول. غير أن للتغيرات الّتي تطرأ على المجتمع في مختلف جوانبه أثرا كبيرا في ضرورة تغيير ما شرع الأوّل. وذلك لأن تطوّر الظّروف وتعاقب الأجيال واختلاف مشاكلها تحتّم على الرّئيس رؤية جديدة للحياة ولتسيير مدينته، وبالتالي اجتهادات تتطلّب من صاحبها شروطا ينبغي توفرها لديه مثلما كانت لدى الرّئيس الأوّل، بل معرفة كاملة وعميقة للأحداث وتطوراتها وأسبابها وبالحلول الصّالحة الّتي ينبغي اتّخاذها. وإذا كانت سنن الأّول مستمدة من الشّريعة فإنّ التّغيير الّذي يقوم به الرّئيس الثّاني لا يتعلق بمبادئ الشّريعة وإنّما بكيفية تطبيقها حسب معطيات العصر. ولهاذا فإنّ الأستاذ "محمد عابد الجابري" بعيد عن الفارابي حين يرى أن على الفيلسوف إقامة دولة العقل حتّى لو تطّلب ذلك منه إدخال تعديلات أساسية على الشّريعة، وحين يرى أن هذا شيء مشروع، لأن عيسى غيرّ شريعة موسى، ومحمّد غيرّ شريعة عيسى[1]. الجابري، وهو بعيد عنه لأن الشريعة الإسلامية لا يمكن تعديلها في ذاتها مدى الزّمان وإنّما يمكن أن تتغير طريقة فهم طبيعة بعض الأمور الخاضعة فيها للاجتهاد، وأمّا أسبابها ومبادئها فإنّ ذلك ثابت. هذا ولم يغير الأنبياء عليهم السّلام شرائع الله من تلقاء أنفسهم بل عن وحي وأمر من الله.

ترتيب أجزاء المدينة الفاضلة

---

[1] أنظر: محمد عابد الجابري، " مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية " مقال ضمن كتاب: الفارابي والحضارة الإنسانية، وزارة الإعلام مديرية الثقافة. مطابع دار الحرية. بغداد 1975 . 1976.

تكون نسبة رئيس المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها سواء - أكان رئيسا أولا أوثانيا -كنسبة الأَول إلى سائر الموجودات، ويكون في مهامه شبيها بالعضو الرّئيس في البدن الذي توكل إليه أعقد الوظائف البيولوجية وهو الّذي ينبغي " أن يكون أولا، ثم يكون هو السّبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها "[1]. ويليه أو يلي الرّؤساء الأفاضل إذا كانت الرّئاسة جماعية في أجزاء المدينة:

. ذوو الألسنة: وهم حملة الدّين والخطباء والبلغاء والشّعراء والملحنون والكتّاب ومن يجري مجراهم وكان في عدادهم.

. المقدّرون: وهم الحساب والمهندسون والأطباء والمنجّمون ومن يجري مجراهم.

. المجاهدون: وهم المقاتلة والحفظة ومن جرى مجراهم وعد فيهم.

. الماليون: وهم مكتسبوا الأموال في المدينة مثل الفلاّحين والرّعاة والباعة ومن جرى مجراهم[2].

وهكذا يجعل الفارابي في قمّة الهرم النبي أو الفيلسوف ثم يليه أصحاب العلم والثّقافة الّذين هم عيون الأمّة ولواؤها. ويأتي بعدهم من هم دونهم في المرتبة، ولكلّ منهم مرتبته الّتي_أعدته لها طبيعته والتي هو أهل لها. يقول الفارابي: " إن أجزاء المدينة مفطرون بالطّبع بفطر متفاضلة يصلح بها إنسان لا إنسان لشيء دون شيء "[3].

هذه هي المدينة الفاضلة التي اقترحها الفارابي على مجتمعه الّذي آلت أوضاعه إلى التمزّق والانحلال وهي مدينة تشبه البدن الواحد لا يكون تاما

---

[1] الفارابي، الآراء ص 120

[2] الفارابي، فصول متنزعة. ص 65 . 66

[3] الفارابي، كتاب الآراء ص 119.

وصحيحا إلا بالتّضامن والتّعاون وتوزيع الأعمال وتنسيقها على أساس الاستعدادات والمواهب، وهي لا تتقدم وتسير نحو السعادة إذا لم يكن على رأسها الفلاسفة أو الأنبياء.

مضادات المدينة الفاضلة

وتضاد المدينة الفاضلة مدنا غير فاضلة هي المدينة الجاهلية" وهي التي لم يعرف أهلها السّعادة ولا خطرت ببالهم أن أرشدوا إليها فلم يفهموها ولم يعتقدوها، وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مظنونة في الظّاهر أنها خيرات من التي تظنّ أنها هي الغايات في الحياة، وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتّع باللّذّات، وأن يكون مخلى هواه وأن يكون مكرما ومعظما "[1].

وتنقسم هذه المدينة إلى:

. المدينة الضّرورية: الّتي تقتصر على ضروريات الحياة.

. المدينة البدّالة: الّتي يرى أهلها أن اليسار هو الغاية في الحياة.

. مدينة الخسّة والسّقوط: الّتي قصد أهلها التّمتع باللّذة الحسّية.

. مدينة الكرامة:هي الّتي يعمل أهلها أن يكونوا مشهورين وممدوحين بين الأمم.

. مدينة التّغلب:هي الّتي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين والغالبين لغيرهم.

. المدينة الجماعية: وهي مدينة الأحرار، حيث يتبع كل إنسان فيها هواه.

وهي مدن تابعة لطبيعة حاكمها أو رئيسها أو نوع الفلسفة الّتي حصلت له، فهو فيلسوف بهرج مسلط عليها ليحصل هواه وميله.

وتأتي بعد المدينة الجاهلية المدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضّالة.

---

[1] الفارابي، الآراء.ص 131

أما المدينة الفاسقة " فهي التي آراؤها الآراء الفاضلة وهي الّتي تعلم السّعادة والله عزّ وجلّ والعقول الثواني والعقل الفعّال، وكلّ شيء سبيله أن يعلمه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونها، ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية"[1] وبذلك يكون حاكمها فيلسوفا باطلا، إذ أن معرفته تكون باطلة لأنها لا تتوافق والتّطبيق العملي في الحياة اليومية.

وأما المدينة المبدلة " فهي التي كانت آراؤها وأفعالها في القديم آراء المدينة الفاضلة وأفعالها، غير أنها تبدّلت فدخلت فيها آراء غير تلك واستحالت أفعالها إلى غير تلك[2] "

وأما المدينة الضّالة "فهي الّتي تظن بعد حياتها هذه السّعادة، ولكن غيرت هذه، وتعتقد في الله عزّ وجلّ وفي العقل الفعّال آراء فاسدة لا يصلح عليها حتى وإن أخذت على أنها تمثيلات وتخيلات لها، ويكون رئيسها الأوّل ممن أوهم أنه يوحي إليه من غير أن يكون كذلك، ويكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور"[3] وبذلك يكون فيلسوفا زورا.

هذا وهناك إضافة إلى المدن الجاهلة التي تضاد المدينة الفاضلة النّوابت أو النوائب، وهم أصناف كثيرة، منهم صنف متمسّكون بالأفعال التي ينال بها السّعادة غير أنهم ليس يقصدون بما يفعلونه من ذلك السّعادة بل شيئا آخر مما يجوز أن يناله الإنسان بالفضيلة من كرامة ورياسة أو يسار ... ومنهم من يكون له هوى في شيء من غايات أهل الجاهلية فمنعته شرائع المدينة وملتها من ذلك فيعمد إلى ألفاظ واضع السنة وأقاويله في وصاياه فيتأولها على ما يوافق هواه

---

[1] نفس المصدر السابق. ص 133

[2] نفس المصدر السابق. ص 133

[3] الفارابي، الآراء .ص 133

ويحسن ذلك الشيء بذلك التّأويل وهؤلاء يسمّون المحرفة. ومنهم من ليس يقصد تحريفا لكن لسوء فهمه عن واضع السنة ونقصان تصوره لأقاويله يفهم أمور شرائع المدينة على غير مقصد واضع السنة فتصير أفعاله خارجة عن مقصد الرّئيس الأوّل فيضل ولا يشعر فهؤلاء هم المارقة [1].

ويمكن أن نقول أن سبب وجود المدن الفاضلة أو الجاهلة يعود إلى طبيعة حاكمها وإلى نوعية الآراء السّائدة فيها. فوجود الحاكم الفيلسوف بالحقيقة واجتماع المدينة على آراء معينة صحيحة ترافقها أفعال فاضلة يكّون ملّة فاضلة وبالتالي مدينة فاضلة. أمّا إذا انعدمت هذه الأمور أو إحداها كانت ملّة ضلالة أو ملّة جاهلية وبالتّالي مدينة جاهلية بل لا يمكن أن نطلق اسم المدينة أو الملك على اجتماع ملّة فاسدة. وهو اجتماع يكون في أغلب الأحيان بهذه الصفة لأن أهله يؤمنون بآراء تخالف الحقيقة ولكنهم يرون فيها الحق لا غير.

تقييم تصوّر الفارابي

ممّا لا شكّ فيه أن الفارابي إذا كان في وصفه للمدينة الفاضلة مثاليا، فهو في وصفه للمدن المضادة واقعي جدا، وكيف لا وهو الّذي عايش الصّراعات والاختلافات الكثيرة في الدّين والسياسة والآفات الأخلاقية والاجتماعية والتّدهور الاقتصادي والمؤثّرات الثّقافية الخارجيّة، ولهذا فكلّ مدينة تحدث عنها فهي موجودة في الواقع الإسلامي في أيّامه، شاهدها وخبرها بنفسه أو سمع عنها مهما كان موقعها فهو يقول:" وها هنا كان ينبغي أن تذكر مثالات هذه فتؤخذ عن الملل الجاهلية والضّالة الموجودة اليوم في الأمم[2].

---

[1] الفارابي، السياسة المدنية. ص 74

[2] الفارابي، فصول مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة، ضمن كتاب الملة ونصوص أخرى. تحقيق وتقديم محسن مهدي. ص86.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أن الأوضاع الّتي عاشها الفارابي هي العامل الأوّل الذي أدّى به إلى وضع نظريته السّياسية، وأما العامل الثّاني فهو الفلسفة اليونانية الّتي درسها الفارابي بعين الحضارة الإسلامية، واختار منها ما يصلح لوضع مدينته مع ما يتلاءم والشريعة الإسلامية.

هذا ولقد خطا الفارابي بآرائه السّياسية خطوات معتبرة في الفكر الاجتماعي، لأن أفكاره عميقة التّقدمية والإنسانية. وهو يمتاز من بين فلاسفة الإسلام بأنه عالج البحث في السّياسة من النّاحية الفلسفية الخالصة فتصوّر المثل الأعلى للحكم وحدّد الغاية من الحاكم والمحكوم ووضع الموازين الخلقية، ونقد المجتمع الّذي يؤدّي إلى الشّرور، كلّ هذه من الوسائل الّتي انفرد الفارابي بالبحث فيها، وهي تدلّ على قوّة الشّخصية واستقلال الرّأي [1].

المصادر والمراجع:

1. هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، فيلسوف مسلم، ولد سنة 259 هـ ببلاد فاراب على الحدود التركية، اشتهر بتوفيقه بين الفلسفة والدين، وبتوفيقه بين أفلاطون وأرسطو. من بين كتبه: " آراء أهل المدينة الفاضلة "،" تحصيل السعادة "،" الجمع بين رأيي الحكيمين" توفي سنة 339 هـ.

2. أنظر الفارابي، فصول منتزعة، تحقيق وتعليق: فوزي مترى النجار، بيروت لبنان 1971.ص 40.

3. الفارابي: تحصيل السعادة، تحقيق وتقديم وتعليق جعفر ال ياسين دار الأندلس بيروت، الطبعة2.1983 . ص80.

[1] أنظر. العقاد محمود عباس، نقلا عن قدرى حافظ طوقان، الخالدون العرب دار العلم للملايين. بيروت. ط1. 1954. ص 83.

4. الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى، تحقيق وتقديم وتعليق: محسن مهدي دار المشرق ـ المطبعة الكاتوليكية. بيروت ـ لبنان. ص66.

5. عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي. دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت. الطبعة3. 1986 ص66.

6. القرآن الكريم، سورة الأنفال آية 64.

7. راجع الفارابي، فصول منتزعة ص71.

8. سورة الحجرات. آية 10.

9. جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني: بيروت الطبعة الثانية.1973 ص 179.

1.0 راجع الفارابي، فصول منتزعة. ص 71 ـ 73.

11 .نفس المرجع السابق .ص 75

12 .الفارابي، السياسة المدنية، تحقيق وتقديم وتعليق: فوزي متري النجار.المطبعة الكاتوليكية ـ 1964.ص 79

13.الفارابي، كتاب الملة. ص 66.

14.الفارابي، فصول منتزعة. ص 26.

15.الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق : ألبير نصرى نادر. دار المشرق بيروت. لبنان ـ الطبعة 4. 1973.ص129.127.

16.الفارابي، كتاب الآراء ص130.129.

17.نفس المرجع السابق.ص130.

18.الفارابي، تحصيل السعادة. ص92.

19.أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر.ص192.

20.الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى.ص56.

21.نفس المرجع السابق.
22.أنظر: الجابرى محمد عابد " مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية" مقال ضمن كتاب: الفارابي والحضارة الإنسانية، وزارة الإعلام مديرية الثقافة. مطابع دار الحرية. بغداد.1975.1976.
23.الفارابي: الآراء ص120.
24.الفارابي: فصول منتزعة .ص66.65.
25.الفارابي كتاب الآراء.ص119.
26.الفارابي، الآراء.ص131.
27.الفارابي، الآراء.ص133.
28.نفس المرجع السابق
29.نفس المرجع السابق
30.الفارابي، السياسة المدنية.ص74.
31.الفارابي، فصول مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة، ضمن كتاب الملة ونصوص أخرى. تحقيق وتقديم محسن مهدي.ص86.
32.أنظر. العقاد محمود عباس، نقلا عن قدرى حافظ طوقان، الخالدون العرب دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة1. 1954.ص83.